بسم الله الرحمن الرحیم
به نام خداوند بخشنده مهربان
In the Name of Allah, the Compassionate the Merciful

مركز المصطفى العالمي
للترجمة والنشر

الكلام المقارن

التوحيد، الصفات والعدل الإلهيّ (١)

علي الرباني الكلبايكاني

تعريب:

صالح البدراوي

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني ﷺ، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصًا فريدةً للاطّلاع الواسع بما يحيط به.

ومن هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأُصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي ﷺ وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجْل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى ﷺ العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

المقدّمة ـــــ ١٣

القسم الأوّل: التوحيد والصفات

الفصل الأوّل: صفات الله ـــــ ١٩

الصفة لغة ـــــ ١٩

تقسيمات الصفات ـــــ ٢٢

إثبات صفات الله ـــــ ٢٣

ألف) البراهين العقلية ـــــ ٢٤

برهان الوجوب بالذات ـــــ ٢٤

البرهان على الوجود الصرف والمطلق ـــــ ٢٥

برهان العلة الفاعلية (معطي الكمال) ـــــ ٢٥

معرفة صفات الله عن طريق الوحي ـــــ ٢٦

معاني صفات الله ـــــ ٢٧

التمثيل التنازلي والتصاعدي ـــــ ٣١

الفصل الثاني: التوحيد والشرك الذاتيان ـــــ ٣٩

المقدمة ـــــ ٣٩

أقسام التوحيد ـــــ ٤٠

التوحيد الذاتي ـــــ ٤١

حقيقة التوحيد الذاتي ـــــ ٤١
التوحيد من الصفات الثبوتيّة أم السلبيّة؟ ـــــ ٤٣
العقل والتوحيد الذاتيّ ـــــ ٤٣
١. التركيب ملازم للحاجة ـــــ ٤٣
٢. التعدد يستلزم التركيب ـــــ ٤٤
شبهة ـــــ ٤٤
الجواب ـــــ ٤٥
برهان التمانع ـــــ ٤٥
القرآن وأدلة التوحيد ـــــ ٤٧
التوحيد والتعبّد ـــــ ٤٨
الامام علي عليه السلام وبرهان التوحيد ـــــ ٤٨
التوحيد والتثليث ـــــ ٤٩
التثليث في الديانة الهندوسية ـــــ ٤٩
التثليث في الديانة المسيحية ـــــ ٥٠
رأي القرآن بالتثليث ـــــ ٥١
الفصل الثالث: التوحيد والشرك الصفاتي ـــــ ٥٥
المعتزلة والتوحيد الصفاتي ـــــ ٥٦
عينية الصفات مع الذات ـــــ ٥٧
عينية الصفات مع الذات في كلمات الائمة المعصومين عليهم السلام ـــــ ٥٩
زيادة الصفات وقدمها ـــــ ٦٠
نقد نظرية الزيادة ـــــ ٦٢
التذكير بأمرين ـــــ ٦٣
الفصل الرابع: التوحيد والشرك في الألوهية ـــــ ٦٥
القرآن وتوحيد الألوهيّة ـــــ ٦٥
خصائص الألوهيّة ـــــ ٦٩

الوهابية وتفسير الألوهيّة ٧٢
الألوهيّة والخالقيّة ٧٣
اصحاب الاثنين (الثنوية) ٧٤
مسألة خلق الأفعال ٧٥
الألوهية والربوبيّة ٧٦
انحراف الناس في التوحيد في الربوبية ٧٨
نقد ورأي ٧٩

الفصل الخامس: التوحيد والشرك في العبادة ٨٣
حقيقة العبادة ٨٤
القرآن وحقيقة العبادة ٨٥
المشركون في عصر الرسالة والشرك في العبادة ٨٩
الردّ على شبهة الوهابيين ٩٢

القسم الثاني: العدل الإلهيّ

الفصل الأول: بحوث تمهيدية ٩٩
تعريف العدل وحقيقته ٩٩
العدل في اصطلاح المتكلمين ١٠١
المظاهر العامة للعدل الإلهيّ ١٠٢
علاقة العدل الإلهيّ بالحكمة الإلهيّة ١٠٤
تاريخ ودوافع طرح العدل في علم الكلام ١٠٨

الفصل الثاني: الحسن والقبح العقليان ١١٥
المكانة والأهميّة ١١٥
المؤيدون والمنكرون ١١٥
توضيح المسألة ١١٧
استعمالات الحسن والقبح ١١٩
ملاحظات مهمة ١٢٠

العقل النظري والعقل العملي ١٢١
براهين الحسن والقبح العقليين ١٢٣
١. إجماع العقلاء ١٢٣
٢. الحسن والقبح الشرعيان ١٢٣
٣. معرفة أنبياء الله ١٢٤
إشكال ١٢٥
الجواب ١٢٥
الفصل الثالث: براهين العدل الإلهيّ ١٢٧
١. برهان الوجوب بالذات ١٢٧
٢. برهان العناية ١٢٧
٣. برهان العلم والغنى المطلق ١٢٨
الإجابة على بعض الإشكالات ١٢٩
برهان إتقان الصنع ١٣١
النظم والاتقان في نظر العلماء ١٣٣
الأرض وظروف الحياة ١٣٥
الفصل الرابع: الشرّوالعدل الإلهيّ ١٣٩
طرح الموضوع ١٣٩
الآراء والمسالك ١٤١
١. المذهب الظاهري ١٤١
٢. الأشاعرة ١٤١
٣. العدليّة ١٤١
٤. الحسيون ١٤٢
٥. الفلاسفة المسلمون ١٤٣
الاجابة على شبهة الشر فيما يتعلق بالنظام الأحسن ١٤٣
الخير والشرّلا ينفكان عن بعضهما في عالم الطبيعة ١٤٤

جمالية المجموعة أو النظام الكامل ١٤٦
الإجابة على إشكالين ١٤٦
الشرّ والقدرة الإلهيّة المطلقة ١٤٨
الشرّ وغائية الخلقة ١٥٠
المصالح العامة والمنافع العامة ١٥٠
المصائب وإدراك لذة المسرّات ١٥١
المصاعب وتنامي القابليات ١٥٢
الحوادث المؤلمة أم نواقيس الخطر ١٥٣
الشرور والجزاء العادل ١٥٤
الآلام والاعواض ١٥٤
الخلاصة ١٥٦
الفصل الخامس: مسألة الشرّ في الفلسفة واللاهوت المسيحي ١٥٧
ماهية الشرّ وأقسامه ١٥٧
الانتقادات والاعتراضات ١٥٨
١. المسألة المنطقيّة للشرّ ١٥٨
٢. مسألة الشرّ بمنزلة الدليل ١٥٩
الردود والحلول ١٦٠
الدفاعيات الكلاميّة والفلسفيّة ١٦١
١. الدفاع أمام تهمة عدم الانسجام ١٦١
النقد ١٦٢
٢. تبيين الشرور ١٦٣
نظريات العدل الإلهيّ ١٦٥
١. الفائدة المعرفية للشرور ١٦٥
٢. الفائدة التحذيريّة للشرور ١٦٥
٣. أفضل عالم ممكن ١٦٦
٤. قصور العلم البشري ١٦٧

٥. الخير الكامل والنهائي ١٦٨
٦. التفسير القائم على القانون الطبيعي ١٦٨
٧. نظرية العدل الإلهيّ الاغوسطينية ١٦٩
نقد ١٧١
التقييم ١٧١
٨. نظرية العدل الإلهيّ لإيرنايوس ١٧٣
نقد ١٧٥
التقييم ١٧٥
٩. نظرية العدل الإلهيّ لمدرسة لاهوت الصيرورة ١٧٧
النقد ١٧٩

الفصل السادس: الجبر والاختيار ١٨١
الجهمية والقول بالجبر الصريح ١٨٣
آراء المتكلمين في تفسير الاختيار ١٨٣
أ) نظرية التفويض ١٨٤
إشكاليات نظرية التفويض ١٨٤
ب) نظرية الكسب ١٨٦
النقد ١٨٧
الوجه الثاني: الكسب يعني عدم الاستقلال في التأثير ١٨٨
ج) أمر بين الأمرين ١٨٩
الخلفية التاريخية للأمر بين الأمرين ١٨٩
صورة من اللطف الإلهيّ ١٩٠
لا يعلم بحقيقة ذلك إلا العلماء ١٩١
توضيح الموضوع في اطار المثال ١٩١
تفسير الامام الهادي عليه السلام ١٩٢
التفسير الفلسفيّ للأمر بين الأمرين ١٩٤
مطالعة كتاب النفس ١٩٥

الفصل السابع: القضاء والقدر الإلهيّ ـــــ ١٩٧
الايمان بالقضاء والقدر ـــــ ١٩٧
سابقة البحث في القضاء والقدر ـــــ ١٩٨
القضاء والقدر لغةً ـــــ ١٩٩
القضاء والقدر التكويني لله ـــــ ٢٠٠
القضاء والقدر التشريعي ـــــ ٢٠١
القضاء والقدر لدى الفلاسفة والمتكلمين المسلمين ـــــ ٢٠٢
القضاء والقدر وأفعال البشر ـــــ ٢٠٣
وجوب الرضا بالقضاء الإلهيّ ـــــ ٢٠٤
القضاء والقدر واختيار الإنسان ـــــ ٢٠٦
الفصل الثامن: البداء في الكتاب والسنّة ـــــ ٢٠٧
مفهوم لفظة البداء ـــــ ٢٠٨
حقيقة البداء بشأن الله ـــــ ٢٠٨
البداء أم قدرة الله ومشيئته المطلقة ـــــ ٢٠٩
البداء أو تأثير أعمال الإنسان الحسنة والسيئة في عاقبة أمره ـــــ ٢١٠
البداء في عاقبة قوم يونس ـــــ ٢١١
التقدير المحتوم والمشروط ـــــ ٢١٣
خلاصة البحث ـــــ ٢١٥
بعض الأقوال لأساتذة الكلام الإمامي ـــــ ٢١٨
المصادر ـــــ ٢٢٣

المقدّمة

من خلال الاطّلاع على الآثار الكلاميّة التي دوّنها السابقون، نستنتج أنّ هذه المصنفات تمّ تأليفها بثلاثة أنماط عامّة، فقد تطرّق بعضٌ منها إلى تدوين وتبيين عقائد مذهب معيّن فحسب، وابتعد عن نقل عقائد الآخرين ونقدها، وكتاب "أصول السنّة" لأحمد بن حنبل، ورسالة "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة، وكتاب "الاعتقادات في دين الإماميّة» للشيخ الصدوق هي من هذا النوع. وبعض الآخر تطرّق فقط لنقد عقيدة واحدة أو عدّة عقائد لمذهب معيّن أو نظريّة متكلم محدّد، وهذا الأسلوب أي كتابة الردود الكلاميّة لطالما كان محط اهتمام متكلمي المذاهب المختلفة، ونقلت الكثير من هذه النماذج في كتب الرجال والتاريخ والملل والنحل. ومجموعة أخرى قامت بنقد عقائد الآخرين ومناقشتها فضلًا عن قيامها بتبيين العقائد المقبولة من المذهب الكلاميّ أو رأيها الخاصّ في المسائل العقائديّة وإثباتها، وكتب "تجريد الاعتقاد"، "كشف المراد"، "المواقف في علم الكلام" و"شرح المقاصد" هي من هذا النوع، وعلى الرغم من انتهاج أسلوب البحث المقارن في النوع الأخير، إلّا أنّه كان بمثابة مسائل ثانوية، ولم يمثّل الهدف الأساسي لها.

إنّ البحث المقارن الشائع في الوقت الحاضر والذي أصبح متعلقًا بعلوم مختلفة كالكلام والفلسفة والفقه والأصول وغيرها، يعني أن تخضع الآراء المختلفة لمذهبين أو أكثر، أو لاثنين من المفكرين أو أكثر بخصوص مسألة معيّنة أو أكثر للمقارنة، وفي هذا

النمط من الأبحاث يصار إلى استخدام أسلوب المطابقة والمقارنة، والنقد والتقييم أيضًا، إلّا أنّ النقد والتقييم يأتيان بالدرجة الثانية من حيث الأهميّة، والمقارنة والمطابقة تمثّلان الهدف الأوّل، ولقد تمّ إخراج هذا المصنف على هذا الأساس.

وتمّ اختيار المواضيع والمسائل المدرجة في هذا الكتاب على أساس الفصول المحددة من قبل مكتب التخطيط والتقنيات التعليميّة لجامعة المصطفىﷺ العالميّة بما يناسب المسائل التعليميّة للدارسين، ولو كان المؤلف يريد أن يؤلف هو كتابًا مقارنًا في حقل المسائل الكلاميّة، لربما كان سيختار مسائل أخرى ليقدمها بعنوان رسالة أو كتاب في هذا المجال.

المسألة الأولى المراد إخضاعها للبحث المقارن، هي صفات الله تعالى والتي تمت دراستها من ناحيتي الأنطولوجيّة والسيمياوية، ومن الواضح أنّه لو كان من المقرّر أن يصار إلى البحث بشأن مصاديق صفات الله تعالى المبحوثة في الكتب الكلاميّة التقليديّة، لاستوعب ذلك سعة هذا الكتاب، ولم يبق مجال للفصول المتبقية. ومن ناحية أخرى فإنّ البحث العام في الصفات وفي البعدين المذكورين، يعدّ من البحوث الرئيسية والأساسيّة في الإلهيّات.

المسألة الأخرى التي خضعت للبحث المقارن، هي التوحيد التي تأتي في مصاف أهم المسائل الكلاميّة، ورغم اعتبارها في الحقيقة من مصاديق الصفات الإلهيّة، ولكن بسبب أهميتها الخاصّة، تم تناولها بشكلٍ مستقلٍ، وتمّ في هذا الموضوع توضيح آراء المذاهب الكلاميّة المختلفة بشأن أقسام أو مراتب التوحيد ودراستها.

للعدل الإلهيّ استخدامين في عرف المتكلمين؛ إذ يُذكر أحيانًا باعتباره أحد صفات الجمال الإلهيّ إلى جانب الصفات الأخرى، وفي هذه الحالة يصبح كأحد المسائل الكلاميّة والعقائدية، وأحيانًا يأتي بعنوانه واحدًا من أوسع أبواب المباحث الكلاميّة، أي المواضيع المرتبطة بصفات فعل الله تعالى، وأهمّ بحث في هذا الباب هي مسألة الحسن والقبح العقليين، التي لطالما كانت محلّ أخذ وعطاء بين المتكلمين القائلين بالعدل من جهة

والأشاعرة من جهة أخرى؛ ولذلك فقد خصصنا بحثًا للحسن والقبح العقليين بعد الانتهاء من المباحث التمهيديّة حول العدل الإلهيّ، وتعتبر مباحث براهين العدل الإلهيّ، والبحث في الشرّ وعلاقته بالعدل الإلهيّ، ومسألة الجبر والاختيار، والقضاء والقدر من أهمّ المباحث وأكثرها إثارة، ولطالما استقطبت اهتمامات المتكلمين وأثيرت الآراء المتقابلة والمختلفة بشأنها، وعملية تقييم هذه الآراء أخذت مساحة أخرى من مواضيع هذا الكتاب.

والموضوع الأخير لهذا الكتاب خصص لإجراء البحث المقارن حول مسألة البداء، وإثارة هذا الموضوع ـ ناهيك عن كونه من الفصول المقدّمة من قبل الجامعة ـ يأتي على خلفية علاقته بموضوع القضاء والقدر؛ لأنّ مقتضى القضاء والقدر الإلهيّ هو أنّ جميع الأحداث إنما تتحقّق على أساس القضاء والقدر القطعي لله تعالى، في حين أنّ البداء يفيد بأنّ التغيير يحصل في تحقق البعضِ من الحوادث في ظروف خاصة؛ لذا فإنّ البحث في البداء سيساعد على حلّ الإشكال المذكور.

المنهج الرئيسي في هذا الكتاب هو إجراء البحث المقارن بين العقائد وآراء المذاهب الكلاميّة والمتكلمين الإسلاميين؛ لذلك فقد حرصنا على استعراض آراء أكثر المذاهب الكلاميّة وأشهر متكلميها؛ ومن هنا فقد تمّ تنظيم المنهج العام للبحث على أساس عقائد وآراء الشيعة الاثنى عشريّة (الإماميّة)من المذاهب الشيعيّة، في حين تمّ تركيز الاهتمام على عقائد وآراء المعتزلة والماتريديّة والأشعريّة والوهابيّة من المذاهب غير الشيعيّة، كما تمت دراسة آراء بعض المتكلمين المسيحيين القدماء والمعاصرين ممن كانت لهم آراء خاصة في بعض المسائل، من قبيل: مبحث صفات الله ومسألة الشرّ.

المخاطب الرئيسي لهذا الكتاب هم الطلاب المشتغلون بالدراسة لمرحلة الماجستير في جامعة المصطفى ﷺ العالميّة، وقد تمّ تأليف هذا الكتاب كمنهج دراسيّ عام؛ ومن هنا، فقد دوّنت مواضيع الكتاب على أساس الملاحظتين المتقدّمتين من حيث البناء والمحتوى؛ وعلى ذلك، فإنّ بعض فصول الكتاب، أو بعض الأجزاء من بعض الفصول

جاءت على نحو قابل للفهم لطلبة المراحل الأدنى كذلك، من قبيل البحوث التمهيديّة للعدل الإلهيّ، والبحوث المتعلقة بالنظم والاتقان لدى العلماء وأمثال ذلك.

ومن هنا نطلب من الأساتذة الكرام الذين يتصدون لتدريس هذا الكتاب، وانطلاقًا من تقييمهم للطلاب وملاحظة ضيق الوقت وقلّة الحصص الدراسية، إحالة هذا النوع من المواضيع إلى مطالعة الطلبة الأعزاء، نأمل أن نتجاوز عثرات الكتاب وهفواته في الطبعات القادمة من خلال الانتقادات والمقترحات البنّاءة للأساتذة الكرام.

قم ـ الحوزة العلميّة

علي الربّاني الكلبايكاني

٢٠٠٤/٤/٤ مـ / ١٣ صفر ١٤٢٥هـ ق